سلطان مصر قايتباى العساكر مع الامير أزبك الذى نسبت اليه الازبكية فانتصر المصريون عليه مرارا ثم حصل الصلح بينهما وترك قايتباى عدنه وطرسوس اليه وكان سفير قايتباى جانبلاط بن يشبك السالف الذكر والبيان ومات قايتباى سنة ٩٠١ هـ وكان محبا لجمع الاموال وغير عجول فى الامور

﴿السلطان قانصوه الغورى﴾

هو أبو النصر قانصوه تولى السلطنة سنة ٩٠٦ هـ ولقب بالملك الاشرف فاقام ١٥ سنة ولما اتفق العساكر على توليته اشترط معهم أن لا يقتلوه وان رغبوا عزله انعزل وكان جبارا كثير القتل والسفك وله عدة مبانى منها المنارة المعتبرة بالازهر والبستان تحت القلعة والسبع سواقى لمجرى الماء من مصر العتيقة الى القلعة وعمر بعض أبراج الاسكندرية وعمل بطريق الحج عدة خانات وآبار وهو صاحب القبة الموجودة الآن بالبلدة التى سميت بها اقرب المطرية ومع ذلك فانه كان كثير الطمع والظلم يأخذ أموال من يموت ومما يكه يظلمون الناس ووقعت بينه وبين السلطان سليم الاول من آل عثمان حروب بمرج دابق انهزم فيها الغورى ولم يعلم له حال وسبب هذه الفتنة انه رحب بأخيه كركود الذى كان ينازعه فى الملك ودخلت الشام من وقتئذ تحت حكم الدولة العلية وقام السلطان سليم بالشام شهرا ثم رحل الى مصر فوجد عسكر مصر قد ولوا عليهم طومان باى ابن أخ الغورى ووقع بينهم حروب كثيرة ثم ذهب طومان باى الى السلطان سليم طائعا فقتله وأبقاه فى باب زويلة مشنوقا ثلاثة أيام ودفن بعد فن الغورى المشهور وبموت طومان باى انتهت دولة الجراكسة

الباب الرابع عشر

﴿مصر تحت حكم الدولة العثمانية المرة الاولى﴾

أوّل من ملك مصر من بنى عثمان هو السلطان سليم الاوّل وذلك سنة ٩٢٣ هـ سنة ١٥٣٠ م وكان ملكا شديد البأس مولعا بمطالعة التواريخ بليغا فى اللغة الفارسية والرومية والعربية والتركية وكان كثير السفك للدماء عظيم الكشف عن أحوال الملوك وكان يتجسس بالليل والنهار وهو متخفيا ويطلع على الاخبار وكان قد توجه لقتال العجم فلم يتمكن من بلادهم شدة التمكن بسبب انقطاع القوافل التى أعدها لتتبعه بمؤنة العساكر فبلغه ان سبب سلطان مصر قانصوه الغورى لان بينه وبين اسمعيل شاه العجم مودة ومراسلات فكان ذلك سببا فى غزو بلاد مصر كما تقدم وكان مقره بمصر فى قلعة الروضة وبنى له كشك عند قاعة المقياس وهو مشرف على النيل ولما أراد التوجه الى الروم تقدم اليه خاير بك بمفاتيح البلاد فردها عليه وولاه عليها الى أن يموت فشاوره على ان أبناء الجراكسة يريدون الدخول فى خدمة الدولة فاجابه لطلبه وشاوره على ابقاء أوقاف الجراكسة وهو نحو عشرة قراريط من أرض مصر فأبقاها على ما كانت عليه فغضب وزيره وقال افنوا مالنا وعساكرنا وتبقى لهم أوقافهم يستعينون علينا بها فامر السلطان سليم بضرب عنق الوزير وقال عاهدناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أبناءهم فى حيزنا فهم أولاد مسلمين وتأخذهم الغيرة على ديارهم وأما أراضيهم فاصلها املاك الغائبين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز ان ننازعهم فى أملاكهم وأنا أزلت الوزير كراهة ان يغير على اعتقادى بتكرار كلامه وكانت مدة ولاية خاير بك سنتين ونصف تقريبا ومن بعده أرسلت الدولة العلية نائبا من طرفها وما زالت ترسل العمال من طرفها الى سنة ١٧٦٥ م أى فى زمن السلطان مصطفى الثالث فانه قطع ارسال النواب الى مصر وولاها للمماليك البادى ذكرهم آنفا بشرط ان يدفعوا نصف الاموال السلطانية

الى

الى الاستانة العلية والنصف الثانى يصرف برسم المرتبات وأقام بينهم أميرا لصدور الاوامر فكانت المماليك تصرف الاموال على شهواتهم ويدعون انهم يصرفونها على المصالح المبرية وفى آخر العام يرسلون الدفتر مسدداً عن يد الوزير المذكور الذى لم يكن فى مصر الا على سبيل الصورة فقط وكانوا يظلمون الناس ولا يبالون فى نجاح البلاد وكان كبيرهم يسكن القاهرة ويلقبونه بشيخ البلد ومع تمادى الايام خرجوا عن طاعة الدولة العلية لما حكم كبيرهم على بك الكبير الذى خطب على المنابر باسمه واستمر العصيان الى سنة ١٧٩٨ م الموافقة سنة ١٢١٣ هـ حين حضر الجنرال بونابارت وحاربهم وشتت شملهم

الباب الخامس عشر

﴿الجيش الفرنساوى فى مصر﴾

وفى سنة ١٧٩٨ م هجمت الامة الفرنساوية على مصر تحت قيادة الجنرال بونابارت باربعين ألف من العساكر الفرنساوية فاولا ملكوا الاسكندرية ثم نزلوا على مصر ووقع بينهم وبين المصريين وقائع شتى فاول واقعة كانت عند الرحمانية فهزمت الجيوش المصرية والتجؤا الى الجيزة فاقتفى الفرنساويون أثرهم والتقوا عند قرية وسيم فهزمهم الفرنساويون ثانى مرة ففر مراد بك ومن معه من المماليك الى الصعيد وفر ابراهيم بك شيخ البلد ومن معه من المماليك الى الشام وبعد تمام نصرتهم دخلوا مصر ورتبوا الدواوين لتنصلح الاحوال وأظهروا انهم لا يظلمون أحدا ولا يتعرضون للرعية الا بكل خير وانهم مرسلون من طرف الدولة العلية ولكن بعد تسيير أظهروا ضد ما قالوه ونهبوا أمتعة المماليك ثم الاهالى وقتلوهم وكذا قتلوا بكل قرية من قرى مصر من امتنع عن أداء ما فرض عليه من الاموال وقد قتلوا كثيرا من العلماء عند دخولهم الجامع الازهر ونشروا الخزائن التى ظنوا ان